الكتابة التاريخية عن النجف قراءة في التأليف الموسوعي

د. حسن ناظم
وزير الثقافة والسياحة والاثار/ العراق
Hassan.nadhem@uokufa.edu.iq

التقديم: 16-01-2021
القبول: 20-02-2022
النشر: 15-09-2022

Doi: https://doi.org/10.36473/ujhss.v61i3.1900

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

المستخلص

ثمة غنى في موضوع الكتابة التاريخية عن النجف، فهناك عدد ضخم من الدراسات والبحوث والكتب والموسوعات عن مدينة النجف، فالنجف لهاخصوصية تاريخية كونها مدينة علم وأدب زاخرين وتحتضن ضريح الإمام علي(ع) ، وقد كُتبت فيها موسوعات عديدة وهو جهد كبير بذله علماء وباحثون وأبناء المدينة اعتزازاً بدورها ومكانتها، وفي هذه الدراسة سيتمّ تناول أربع موسوعات مقسّمة على نموذجيْن اثنيْن من التأليف الموسوعي أحدهما النموذج التأليفي، أي النموذج الذي يثبّت فيه المؤلف جميع المعلومات الواردة عن النجف في المصادرِ كلِّها مثل ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر آل محبوبة، والمفصّل في تاريخ النجف الأشرف للدكتور حسن عيسى الحكيم، والنموذج التجميعي الذي يثبّت فيه المؤلف موادَّ جاهزة لموسوعته ، مثل موسوعة النجف الأشرف للأستاذ جعفر الدجيلي، والثانية هي مجلة(آفاق نجفية) للأستاذ كامل سلمان الجبوري.

الكلمات المفتاحية : نقد الموسوعات، تأرخة المدن، التحليل التاريخي، السلطة، المجتمع.

المقدمة

يتناولُ هذا البحثُ موضوعاً محدداً يخصُّ الكتابةَ التاريخية عن النجف في التأليف الموسوعيّ، لابدّ أولاً من لفتِ الانتباهِ إلى أن للموسوعة في سياق الكتابة التاريخية عن النجف خصوصيةً تتعلّق بالتصوّر الذي يحملُه أصحابُ الموسوعات عنها وعن آليات تأليفها، ولا بدّ ثانياً من التنويه بأن الجهد المبذول فيها هو جهدٌ يستحقُّ الإكبارَ والإشادة، فقد أسدى أصحابُ الموسوعات خدمةً لا تُضاهى لكلّ مَنْ يودّ أن يعرف تاريخَ مدينة النجف دون أن يتيهَ بحثاً عن المصادر والمراجع عنها، تلك التي يصعبُ ملاحقتُها لهول كثرتها وفرط تنوّعها. لدينا عن النجف أربعُ موسوعات تنقسم على نموذجيْن اثنيْن من التأليف الموسوعي استناداً إلى طريقةِ العمل وآليّاته، وهم:

النموذج التأليفي: وهو الذي يلاحقُ فيه المؤلّفُ كلَّ شاردة وواردة عن النجف في المصادرِ كلِّها، ويستخلصُ موادَّ موسوعته ويكتبُها ويكيّفُها لحاجات الموسوعة، فلا يدعُ مصدراً إلاّ وينقّب فيه عن أيّ ذكرٍ للنجف، ليوظّفَها في المادة الموسوعية التي هو بصددها، وتندرجُ تحت هذا النموذج موسوعتان هما **ماضي النجف وحاضرها** للشيخ جعفر آل محبوبة، وهو مؤسّسُ هذا النموذج، و**المفصّل في تاريخ النجف الأشرف** للدكتور حسن عيسى الحكيم.

النموذج التجميعي :وهو الذي يلاحقُ فيه جمّاعتُها موادَّ جاهزة لموسوعته، كأن يضمّنَها كتباً مؤلّفة سلفاً ومنشورة، أو فصولاً منشورة ضمن كتبٍ معينة، أو دراساتٍ أو مقالاتٍ منشورةً في المجلات وغير ذلك ممّا هو منشورٌ سلفاً، وتندرج تحت هذا النموذج موسوعتان؛ إحداهما **موسوعة النجف الأشرف** للأستاذ جعفر الدجيلي، والثانية هي مجلة **(آفاق نجفية)** للأستاذ كامل سلمان الجبوري، وسوف يأتي لاحقاً بيانُ سببِ إدراج مجلّةٍ تحت هذا النموذج من الموسوعات في تضاعيفِ هذين النموذجيْن، تكمنُ مسائلُ عدة تتعلّقُ بطبيعة المنهج والرؤية اللذين سارتْ على وفقهما عمليةُ الكتابة التاريخية عن النجف في التأليف الموسوعيّ، وحجمُ الكتابة التاريخية الثقافية والاجتماعية لهذه المدينة عبر تاريخِها المتنوّع والمديد.

نمذجة التأليف الموسوعي عن النجف

- **النموذج التأليفيّ**
- **ماضي النجف وحاضرها لجعفر آل محبوبة**

لعل كتاب جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (1896-1958) **ماضي النجف وحاضرها**، الصادر بأجزائه الثلاثة الأولى وبطبعته الأولى من المطبعة العلمية والنعمان بين عاميْ1955-1957 ، أوّلَ كتابٍ يتولّى المهمةَ التي سوف تؤسس لنمذجة التأليف الموسوعيّ عن النجف؛ أعني بذلك مهمةَ جمعٍ ينشد الشمولَ لأخبار النجف أينما وُجدت .فهو أحد أهمّ الكتب الموسوعية التي حاولت الإحاطة بتاريخ النجف على غير نموذج سابق يختصّ بالكتابة التاريخية عن النجف، بل هي التي اختطّت نموذجاً وأسّست نمذجة للتأليف الموسوعي عن هذه المدينة . وسوف تستقيم هذه النمذجة طموحاً للمؤرخين الذين سوف يحرصون في المستقبل على التخطيط لموسوعاتٍ أشملَ وإنجازها للسبب نفسه الذي حدا بجعفر محبوبة إلى تأليف موسوعته :خدمة المدينة العظيمة والإمام علي بن أبي طالب ، من هنا لابد من إلقاء نظرة على نموذج كتاب **ماضي النجف وحاضرها** لتحديد المسار الذي سوف يرسمُه لمن يأتي بعده، ولن يكونَ المسارُ شاملاً لخطة الكتاب ومنهجيّته، ولن تكونَ النمذجةُ حذوَ النعل بالنعل، بل سوف تتمثّلُ في الهاجس الكبير الذي خلقه في نفوس مؤرّخي النجف لنيل مأثرة تأليف موسوعة عن مدينتهم، وتحقيق هدفين بضربة واحدة :تخليد النجف بالموسوعة وتخليد كاتبها.

يتمتع الجزء الأول من كتاب **ماضي النجف وحاضرها** بعنوان فرعي يستغرق سبعة أسطر، لكنها وافية في بيان المادة الأساسية لهذا الجزء من الكتاب، يفيد العنوان الفرعيّ:

"يبحث عن موقع النجف الطبيعي، وما يخصّها واشتهرت به من الأسماء، وما قيل فيها من الشعر في أدوارها المترامية، وعن سبب إخفاء قبر الإمام عليّ أمير المؤمنين' ع 'وظهوره، وما طرأ عليه من أطوار

العمارة تأسيساً وإصلاحاً، وما رُقم على القبر المعظّم، وما اكتنف به الحرم الشريف من غرر المنظوم والمنثور، وعمّا قام في النجف من مظاهر الحضارة وأنواع العمران من مدارس ومساجد ومطابع وصحف ومكتبات، وما شقّ لها من جداول وقنوات وما أحاط بها من أسوار، وعمّن زارها ودفن بها من الخلفاء والسلاطين والوزراء، ومن عاش بها من خزّان الحرم العلويّ والنقباء ومعظم الحوادث المهمة، وعن سير العلم وحياة الأدب فيها(**محبوبة، 1986**)(**mahboba,1986**) ويختصّ الجزء الثاني والجزء الثالث منه بتاريخ البيوت والأسر العلمية والأدبية النجفية غير العلوية، كلّ جزء يتألّف من اثنتين وأربعين أسرةً أو بيتاً . يبدأ الجزء الثاني بأول أسرة،" آل اطيمش"، وينتهي بالأسرة الثانية والأربعين،" بيت الشيخ الطوسي ."ثمّ يجري استئناف الكتابة التاريخية للأسر في الجزء الثالث ليبدأ بأول أسرة فيه،" آل الظالمي"، وينتهي بالأسرة الثانية والأربعين،" آل ياسين" أما الأُسَر والبيوت العلوية فقد خُصّص لها ثلاثة أجزاء هي" الحسنيون " و"الحسينيون "و"الموسويون"، لكنها لم تُنشر في كتاب .يعتمد جعفر محبوبة في كتابه على ستراتيجية واضحة لا يحيد عنها، وهي ملاحقة الأخبار والروايات والشهادات عن الموضوع الذي يؤرّخ له :النجف ولا شكّ في أن المثابرة التي يُبديها في البحث في بطون أمهات الكتب عن أيّ خبر عن النجف لا يسندها الولع بالمعرفة فقط، بل رفعة المدينة في نفسه، فهو مستعدّ لإنفاق أعوام كاملة في قراءة الموسوعات التاريخية الكبرى مثل تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير، وفحص مجلداتهما الكثيرة من أجل أن يحظى بكلمة عن النجف تكون" تمرة الغراب "كما يعبّر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في مقدمته التي خصّ بها الكتاب (**محبوبة، 1986**) , (**mahboba,1986**) وإذا كانت الكتابة التاريخية عن البيوت والأسر العملية تعنى بالأنساب والأصول، فإنها أيضاً تجري يداً بيد مع تاريخ الحركة الأدبية والعلمية في النجف، فتاريخ هذه الأسر وتلك البيوت هو تاريخ العلم والأدب في النجف .لكن الكتابة التاريخية عند جعفر آل محبوبة تفتقر إلى البعد التحليلي في الكتابة التاريخية بما هي فعل معالجة وتحليل للأحداث وليس مجرد سرد لها، فالكتابة التاريخية عن النجف، التي قامت، كما أسلفتُ، على الأغلب على إحساس بالوفاء للمدينة المقدسة وعلى دعم خالص لمكانتها العلمية والتاريخية، ورغم النيّة السليمة في مثل هذه الكتابة التاريخية، لم يكن نمطُها ليفيَ بمتطلبات كتابة تاريخية حقيقية تبثّ في تضاعيف السرد والتوثيق رؤية للمدينة تنبثق من ماضيها لتصبّ في حاضرها .لقد ظلّ كتاب **ماضي النجف وحاضرها**، على الرغم من أهميته وشهرته، وأهمية مؤلفه، يفتقر إلى بعد الرؤية التحليلية لتاريخ المدينة .إن صهرَ ماضي النجف بحاضرها هو الذي يلبّي حاجتنا إلى معرفة روح النجف، ومستقبلها بعد أداء بناء أسس المعطيات الذي تحقّق مع هذه الموسوعة ولقد غطّت شهرة الكتاب على فحص هذا البعد الجوهري الذي هو أحوج ما نحن إليه بعد أن وفّى بُعدَ المعلومات حقَّه وأطلعنا على الشاردة والواردة عن النجف .فالكتاب كتاب بحث، كتاب" يبحث "كما في صفحة العنوان، ولكنه كتاب يبحث عن ولا يبحث في، إنه تفتيش عن الأخبار وكلّ المبتغى يقع في العثور عليها وتحقيقها.

إن كتاب **ماضي النجف وحاضرها** دشّن أول تنقيب مضنٍ عن الأخبار في بطون الكتب والموسوعات التاريخية، وتدشينه هذا الأفق الجديد في حينه رسم طريقاً تعسّر على لاحقيه أن يحيدوا عنه، فكانت بغية المؤرخ تحصيل المزيد من شوارد الأخبار، ومن أيّ ذكر للمدينة مدسوس في مكان مجهول من كتب التراث الضخ إن بداية

الكتابة التاريخية الواسعة عن مدينة النجف كانت مسؤولة بطريقة معينة عن انغلاق الأفق نفسه، أفق الكتابة التاريخية .فظلّ المؤرخون اللاحقون يدورون في فلك واحد .

المفصّل في تاريخ النجف الأشرف:

بذل الدكتور حسن عيسى الحكيم جهداً كبيراً في المتابعة والاستقصاء في موسوعته الضخمة **المفصّل في تاريخ النجف الأشرف**، وهو في عمله لا يعيد نشر المنشور على طريقة النموذج التجميعي في موسوعتيْ جعفر الدجيلي وكامل سلمان الجبوري كما سنرى، بل هو بالأحرى أقربُ إلى نموذج موسوعة محبوبة **ماضي النجف وحاضرها**، بل هو تجاوزها في السَّعَةِ والموضوعات والمثابرة على ملاحقة المصادر والمراجع التي تتفوّق على مصادر موسوعة محبوبة ومراجعه، فقد بلغت أجزاؤها المطبوعة حتى الآن أربعة وثلاثين جزءاً، وبلغت كلّها مطبوعة وغير مطبوعة خمسين جزءاً بحسب ما عرفتُ من المؤلف.

ويستقي الدكتور حسن عيسى الحكيم مادةَ موسوعته" **المفصّل في تاريخ النجف الأشرف** "من عدد كبير من الأعمال التأليفية التي سبقتْه وبضمنها الموسوعات .فهو يعتمد على موسوعات عديدة من بينها **ماضي النجف وحاضرها** لجعفر محبوبة، وموسوعة **شعراء الغري** لعلي الخاقاني، **وأعيان الشيعة** لمحسن الأمين، **طبقات أعلام الشيعة** لأغا بزرك الطهراني، وغيرها من المصادر الأساسية والثانوية عن تاريخ النجف وتاريخ الشيعة .تبدأ موسوعة حسن الحكيم بالكتابة التاريخية عن النجف منذ عصر ما قبل الإسلام حتى العصر الحديث، غير أن طبيعة المنهجية في هذه الموسوعة يجعلها تقع أيضاً في ورطة الانتقاء للنصوص والموضوعات على نحو غير مركّز .فعلى الرغم من جهد المؤلف الكبير، ثمة مشكلة في تركيز المعلومات وتخليصها من التكرار، ومع أن المؤلف قال إنه تصدّى" للتأليف في هذا الموضوع وفق أحدث الطرائق والمناهج العلمية **(الحكيم2013 , ج1 ,ص5)(al-hakeem , 2013 , vol.1, p5)**

لا يبيّن طبيعة هذه الطرائق ولا تلك المناهج العلمية، ولعله عمد إلى صيغة تنظيمية أولية هي أنه خصّص كلّ جزء من الموسوعة لموضوعة محددة، وهذا التخصيص نفسه يكشف عن محاولة في ربط الموضوعات بعضها ببعض .

إذن،تبدأ كما قلنا موسوعة **المفصّل** بالجزء الأول الذي يتناول تاريخ النجف" من عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية الحكم العثماني ."ويتوقع المرء أن الموسوعة سوف تواصل الكتابة التاريخية عن المدينة في حقب أخرى، غير أنها تنصرف بلا تسويغ منهجيّ إلى موضعة مغايرة تماماً، إذ يتعلق الجزء الثاني بتاريخ ضريح الإمام علي بن أبي طالب، فجاء بعنوان" تأريخ المرقد الحيدري الشريف"، ليستكمل بعدها بالجزء الثالث الذي يتناول" تأريخ المراقد والمقامات ووادي السلام ."ثم تنتقل في الجزء الرابع والجزء الخامس إلى تناول" مدرسة النجف الأشرف من القرن الرابع إلى القرن الثاني عشر الهجريين"، و"مدرسة النجف الأشرف في عصر التجديد"، بعد ذلك، سوف تعود الموسوعة لموضوعة مدرسة النجف في الجزء السابع والجزء الثامن .هذا يعني أن هناك جزءاً) هو السادس (قطع فجأة تناول موضوعة مدرسة النجف، ولعل السبب هو إكمال تناول عصر التجديد بالكتابة التاريخية عن أعلام الأُسَر العلمية فيه .وسوف تُستكمَل أعلام المدرسة النجفية في التأريخ الحديث والمعاصر في

الجزء التاسع، وأعلام مدرسة النجف الأشرف في النصف الثاني من القرن العشرين بالجزء العاشر .يجمع الأجزاءَ الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر موضوعٌ واحد وهو صلات النجف الأشرف بالحوزات العلمية، أولهما صلات النجف الأشرف بالحوزات العلمية العراقية، وثانيهما بالحوزات العلمية العربية وثالثهما بالحوزات العلمية في العالم الإسلامي .لكن الأجزاء(14 ،15 ،16 ،17 ،18 ، 19) سوف تشمل بالتناول موضوعات ثقافية متنوعة تتعلق بالندوات العلمية والمعارك الأدبية، وبالمؤسسات العلمية والفكرية والتربوية، وبتاريخ الصحافة النجفية وتراجم أعلامها، وبالجمعيات والمؤسسات العلمية والأدبية والاجتماعية، وبالمكتبات والمطابع ودور النشر، ثم تنصرف الموسوعة إلى الشؤون السياسية والعقائدية في الأجزاء(20 ،21 ،22 ، 23)لتتناول التاريخ السياسي والعقائدي، وثورة النجف عام 1918 وآثارها في العراق، وقيادة النجف الأشرف لثورة العشرين، والتاريخ السياسي لمدينة النجف الأشرف 1958-1921 .

إن هذا المخطط الموجز لأجزاء الموسوعة المتوفرة لا يمكن ترشيح خطةٍ منهجيةٍ صارمة منه يسيرُ بهديها نظام الموسوعة .فعلى الرغم من محاولة المؤلف توحيد بعض الأجزاء عبر شمولها موضوعات ذات عنوان عريض موحّد مثل الأجزاء التي تتناول الشؤون الثقافية أو السياسية، هناك اعتباطية سوف تتحكّم بمستويَيْن أساسيَيْن في بناء الموسوعة؛ وهما مستوى الخطة الكبرى لبناء موضوعات الموسوعة، ومستوى الخطة الصغرى في بناء المعطيات المتوفرة لكلّ موضوعة .فالخطة الكبرى تنطلق من التاريخ الشامل في الجزء الأول، ثمّ تنطلق في جزأين عن ضريح الإمام علي وبقية المراقد والمقامات، ثم تخصّص أربعة أجزاء (4،5 ،7 ، 8) لتتّبعَ" مدرسة النجف "في الحقب المختلفة، تفصل بينها بجزء هو السادس تناول أعلام الأُسَر العلمية في عصر التجديد، وهذا الجزء السادس له صلة مباشرة بالجزأين التاسع والعاشر اللذين يتعلقان بأعلام مدرسة النجف في الحقب المختلفة. وليس واضحاً سبب عدم جمعها كلها في تسلسل واحد مادامت كلّها تخصّ تاريخ الأسر العلمية في النجف، وهو الأمر الحاصل فيما بعدُ حين ضمّت الموسوعة الأجزاءَ(11،12 ، 13) معاً لتلمّ مشهد صلات النجف الأشرف بالحوزات العلمية العراقية والعربية والعالمية، وكما فعلت أيضاً في الأجزاء(20،21 ،22 ،23) لتلمّ بالمشهد السياسي والعقائدي في النجف وأحداث ثورتها في العام 1918 ومسألة قيادة ثورة العشرين، وتاريخها السياسي في الأعوام 1958-1921 .أما الخطة الصغرى المتعلقة ببناء ركام المعطيات المتوفرة عن أيّ مادة جزئية من مواد الموسوعة فإنها أيضاً تخضع للاعتباطية بمقدار معيّن .إذ يتحكّم بها ما هو متوفّر من المعطيات، دون جهد في التنظيم، أو وضع أولويات لاستخدام المصادر، وتوظيفها بما يخدم الموضوعة، بل هناك رغبة في التحشيد والإكثار من المواد، والتحشيد والإكثار يقدّمان في الأخير مزيجاً يعاني من التشويش والاضطراب، لا شكّ في أن موسوعة" **المفصّل في تاريخ النجف** "ظلّت وفيّةً لنزعة استقصاء المواد والبحث عنها في مصادرَ متنوعة، والموسوعات المكتوبة عن هذه المدينة عادةً ما تتبادل البضاعة نفسها .فالموسوعة تمضي بخطة تبدأ باختيار موضوعة معينة، لتذهب إلى ما قيل فيها في الكتب والموسوعات الأخرى، لكن ليس على طريقة نشر المنشور بتمامه كما هو عمل الدجيلي والجبوري كما سنبيّن فيما يلي من البحث .على سبيل المثال، يختصُّ الجزء السادس بـ"أعلام الأسر العلمية في عصر التجديد"، فتعمد الموسوعة إلى إيراد ما قيل في موسوعات وكتب أخرى مثل كتاب" **ماضي النجف وحاضرها** "لمحبوبة، و"**أعيان الشيعة** "للأمين، و"**شعراء الغري** "لعلي

الخاقاني، و"**طبقات أعلام الشيعة** "للطهراني، و"**الكُنى والألقاب** "للقمّي، وغيرها **(الحكيم ، 2013 ،ج 6 ،ص8)**

(al-hakeem , 2013, vol6, p8) غير أنه يمكن الإشارة إلى أن صاحب موسوعة **المفصّل** يعتمد على مصدر مختلف وغير معهود في بناء موسوعته، ألا وهو يومياته الخاصة **(الحكيم ، 2013 ،ج 6،ص292)** **(al-hakeem , 2013, vol6, p292)** وفي الواقع، فإن استخدام اليوميات الخاصة في بناء الموسوعة يجعل الموسوعة نفسها عُرضةً لمشكلات الموضوعية، والمنهجية، وحتى الطبيعة المضمونية لها بسبب الطبيعة المختلفة لأسلوب اليوميات.

- **النموذج التجميعيّ**
- **موسوعة النجف الأشرف لجعفر الدجيلي**

جمع جعفر الدجيلي بحوث هذه الموسوعة المتألفة من اثنين وعشرين جزءاً، الذي يوصَف باللامع في التجارة والإدارة والتفكير والمنحدر من بيت من بيوتات النجف **(الفقية ,ج1 ص12) ,al-fakeh , vol.1 (p12)**، بإشراف" لجنة من رجال الفكر والعلم والأدب"، وطُبعت في مؤسسته" دار الأضواء "في لبنان) .(**الدجيلي 1993 ,ج 1ص51 -al ( )**

zdujaely , 1993 vol.1, p51 ( )

(أدرج الجزء الأول منها قائمة بأسماء بعض من أسهمَ في البحوث والموضوعات والإخراج والتنظيم . وصدرت الطبعة الأولى من الأجزاء الثلاثة الأولى من" **موسوعة النجف الأشرف** "في العام 1993 في بيروت، لكن فكرتها كانت قد راودت مؤسّسها وجامعها منذ العام .1984 أما الأجزاء الأخرى فقد صدر الجزءان الرابع والخامس في العام1994 ، والسادس في العام1995 ، والسابع والثامن والتاسع والعاشر في العام1997 ، والحادي عشر والثاني عشر في العام1998 ، والثالث عشر والرابع عشر في العام1999 ، والأجزاء من الخامس عشر إلى التاسع عشر في العام2000 ، والجزء العشرون في العام2001 ، والجزء الحادي والعشرون في العام2002 ، والجزء الأخير الثاني والعشرون في العام.2003

وتبدأ الموسوعة بـ"بحث حول الموسوعات الحديثة منها والقديمة "منقول بتصرّف في بعض الأحيان من موسوعة جعفر الخليلي **موسوعة العتبات المقدسة،** وهو مدخل الجزء الأول من الموسوعة .ولولا الأسطر الوجيزة في بداية البحث التي نوّهت باسم الكاتب، وهو جعفر الخليلي، لما عرف القارئ اسمه، فالفهرس نفسه لا يذكر أسماء الكتّاب الذين كتبوا مواد الموسوعة، وهو فهرس يفتقر في العموم، إلى نسبة مواد الموسوعة إلى كتّابها .وبعد بحث الموسوعات هذا، يُجرى تثبيت معالجة عن" موقع النجف الجغرافي "و"تمصير الكوفة "وغيرها من الموضوعات دون إيضاح هوية مَنْ يكتب عن هذه الموضوعات، ودون الإشارة إلى مصادر المعلومات، إذ يخلو البحث تماماً من الهوامش لأربعين صفحة تقريباً، حتى نصل إلى معالجة للجغرافية الطبيعية لمدينة النجف التي يُذكَر اسم كاتبها في أول سطر من المعالجة .ثم يتمّ الانتقال إلى اقتطاع نصّ آخر يخصّ جغرافية النجف من مصدر آخر هو كتاب **النجف الأشرف :عاداتها وتقاليدها**

لطالب علي الشرقي، ثمّ إلى بحث عن مدينة الكوفة لعبد المحسن شلاش، ثمّ بحث عن" النجف قديماً " للدكتور مصطفى جواد **(الحكيم ,2013 ,ج1 , ص155) (al-hakeem , 2013 vol.1, p155)**، وهكذا تستمرّ الموسوعة بانتقاء موادها من بحوث كُتبت سابقاً ولم تُكتَب للموسوعة على نحو خاص، بل هي موجودة سلفاً .

وأما الجزء الثاني من الموسوعة، فهو لا يعدو كونه إعادة نشر لمجموعة من الكتب والدراسات والمقالات منها كتاب **فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النجف** لابن طاووس (693-648) بتحقيق محمد مهدي نجف، ويستغرق 150 صفحة، وكتاب **نزهة الغري في تاريخ النجف والغري السري** لمؤلّفه عبود الكوفيّ(1349-1267) ، وبعض المقالات لهادي الأميني وهبة الدين الشهرستاني وجعفر محبوبة .ويُختتم هذا الجزء بكتاب **مشهد الإمام علي** لمؤلّفته سعاد ماهر محمد، وبالطريقة نفسها،

سيتمّ تنظيم الجزء الثالث ومواده عن مشهد الإمام علي وفضل زيارته ووصف حرمه وأبوابه وخزانته وسدانته .فيبدأ بلمحة تاريخية عن المشهد كتبها العلامة كاظم الحلفي، ثمّ الكتابة التاريخية عن الأضرحة التي أُنشئت على المرقد كتبها محمد جعفر التميمي، وهي في الأصل مستلّة من كتاب **مشهد الإمام** .ويتبع ذلك كلمة عمرها نصف قرن عن الموقع الجغرافي للنجف، قبل أن ينصرف هذا الجزء برمّته إلى تاريخ الباب الذهبي للضريح والأشعار والخطب التي قيلت فيه والخزانة، ثمّ يثبّت كتاباً كاملاً يتألف من 280 صفحة هو **التحف والهدايا بمشهد الإمام) (الحكيم 2013 ,ج 3ص165) , al-hakeem , 2013 vol.3 , p165)** لمؤلفته سعاد ماهر محمد التي كان لها حضور عبر كتاب كامل في الجزء الثاني، ليختتم الجزء بقطعة عن هدايا العتبات المقدسة، ونظام العتبات المقدسة بعامة .أما الجزء الرابع عن النجف فسوف يكون في أدب الرحلات منذ ابن بطوطة(ت1377م)، وناصر الدين شاه (1247هـ1313-هـ)، وانتهاء برحلتيْ توماس كارلايل وفصل فاريا ستارك Freya Stark عن النجف في كتابها **صور بغدادية** *Baghdad Sketches*.يتبع ذلك قسم ترجمه وكتبه جعفر الخياط بعنوان) النجف في المراجع الغربية(، وقسم عن هجمات الوهابية، وصولاً إلى أيام الاحتلال البريطاني وثورة النجف 1919 وثورة1920 ، وبعضاً من أحداث الحقبة الملكية على نحو وجيز جداً .والجزء الخامس عن النجف في الشعر الذي يبدأ بأرجوزتين مشهورتين؛ الأولى" عنوان الشرف في وشي النجف 1497) "بيتاً (للشيخ محمد بن الطاهر بن حبيب بن حسين السماوي النجفي1292) هـ1370-هـ(، والثانية هي" الأرجوزة النجفية 1001) "بيت (للشاعر عباس بن علي بن الحسين الترجمان النجفي) ت1344هـ1925/م .(ويتبع ذلك قصائدُ منتقاة لشعراء مرتبة أسماؤهم هجائياً . والجزء السادس عن الحوزة العلمية أو جامعة النجف الدينية بدءاً من قصة نشوئها إلى أساليب الدراسة فيها وطبيعة المقررات الدراسية وزعمائها ومرجعياتها، والجزء السابع هو امتداد للجزء السادس بما أنه يعنى بالدرس الحوزوي في النجف .وفي الواقع، قد جاء تناول هذا الموضوع بقسميْن، اختصّ الجزء السابع من الموسوعة بتناول النشاط العلمي في شتّى مجالاته، في الفقه والأصول وعلم الرجال، وهو يتعدى أيضاً معنى النشاط للتدريسي إلى النشاط التأليفي .لكن الجزء الثامن تناول الجانب الإصلاحي في مسائل الدروس الحوزوية .أما الجزء التاسع فقد تناول بالتحديد الحركة الإصلاحية في الحوزة العلمية نفسها .وهكذا تواصل

الموسوعة احتضان مواد عديدة تتعلق بتاريخ النجف وشؤونها المختلفة، لتضعها بين دفتيْ موسوعة واحدة بعد أن كانت متناثرة هنا وهناك ويصعب الوصول إليها جميعاً.

والآن، تبيّن الموسوعة نفسُها أن موادها كانت تأتي كما يلي:

تسلّمها من الأساتذة والكتّاب أنفسهم، أو أن جامعها جعفر الدجيلي حصل عليها في أثناء تجواله في البلدان الإسلامية أو تنقيبه في الكتب والمجلات والصحـــــف .**(الحكيم 2013 ,ج 1ص57) , (al-hakeem , 2013 vol.1 , p57)** لكن الإشارات في بعض الهوامش في الموسوعة تشير إلى أن بعضَ المواد إنما هي مستلاّت من مصادر متنوعة، وإذا كان من اليسير ملاحظة أن بعض هذه المواد إنما هي كتب كاملة نُقلت بقضّها وقضيضها إلى الموسوعة كما أشرنا في أعلاه، فإن بعضَها الآخر، المستلاّت، إنما هو فصول من كتب أو مقالات وردت في مجلات .

وإن موسوعة الدجيلي بمنهجها التجميعيّ المحض وخطّتها في إعادة نشر ما كان منشوراً سابقاً تحيد بالطبع عن نموذج موسوعة جعفر محبوبة، لكن الاختلاف بين **ماضي النجف وحاضرها** و**موسوعة النجف الأشرف** لا يكمن فقط في الاختلاف بين التأليف والجميع، بل هو اختلاف في السَّعَة وطبيعة الموضوعات على الرغم من أن طبيعة الرؤية من وراء وضع الموسوعة تبقى هي نفسها في كلا العمليْن؛ سواءٌ أتعلّق الأمرُ بالهدف المتوخّى أم بجوهر حصر المعلومات وإدراجها بين دفتي كتاب .وإذا كان جعفر محبوبة قد أرهق نفسه في التفتيش بنفسه في بطون الكتب لملاحقة أخبار النجف، فإن جعفر الدجيلي أرهقَ نفسَه في ملاحقة أولئك الذين كتبوا عن النجف وملاحقة تلك الكتب المخطوطة والمنشورة التي كُتبت عن النجف .

وإن هذه النزعة التجميعية في التأليف الموسوعي أدّت إلى أن تغصّ بالتكرار، فموسوعة جعفر الدجيلي، كما أسلفنا، تُدرج نقلاً حرفياً، في الجزء الأول منها: **(الخليل , ص5) (al-kaleel , p5)** مدخل جعفر الخليلي في الجزء الأول من موسوعته **موسوعة العتبات المقدسة) المدخل** .(ويشمل هذا النقل أزيد من خمسين صفحة .وهو نقل لا يلتزم التنظيم المنضبط، إذ يُذكَر اسم جعفر الخليلي**(الدجيلي ,ج 1ص26)) (al-dejaely , t1 p26)** في بداية البحث، بينما يُذيّل باسم محمد هادي الأميني الذي كتب بضع صفحات عن" موسوعة النجف الأشرف "أُدرجت دون فصل واضح عن بحث الخليلي حول الموسوعات . ومع أن منهجية الموسوعة تقرّر أنها" تدرج المقالات بكاملها دون تحريف ونقصان"...، كان هناك في بحث الخليلي حول الموسوعات تمييع لحدود بحثه عمّا يليه، ولم يكن هناك تثبيت لاسمه في آخر البحث، وهو أمر نصّت عليه الموسوعة في منهجية تنظيمها .ومن الجليّ أيضاً أن موسوعة الدجيلي كانت نقلت كتباً كاملة بحرفية مطلقة كما أشرنا سابقاً .ولعلّ حضور موسوعة جعفر محبوبة في موسوعة الدجيلي شاهد قويّ على الخطة المتّبعة وعلى اعتمادها على النقل الحرفي .إذ تحضرُ مواد موسوعة محبوبة في موسوعة الدجيلي في أجزاء عديدة منها، على سبيل للمثال، ما يقتبسُه في الجزء الثاني من **ماضي النجف وحاضرها** فيما يتعلق بظهور قبر الإمام علي وعمارته 55) صفحة تقريباً(، وفي الجزء الثالث، تقتبس الموسوعة 60 صفحة تقريباً من موسوعة محبوبة، وهو كل ما يتعلق بسدانةالحرم الشريف) **(الحكيم 2013 ,ج 3, ص469)-(al-hakeem , 2013 vol.3, p469)**

كذلك في الجزء السادس فيما يتعلق بالجامعة النجفية ومدارسها الدينية 20) صفحة تقريباً(وأوضاعها قبل القرن العاشر الهجري وبعده (30) صفحة تقريباً .وثمة مواضع أخرى لهذا الحضور التي تؤكد النمذجة وتعزّز الرغبة في استمراريتها.

مجلة آفاق نجفية

يمكن أن نعدّ مجلة **آفاق نجفية** نوعاً من الموسوعة التي بُنيت على النموذج التجميعي، على طريقة موسوعة النجف الأشرف لجعفر الدجيلي، من حيث تبنّيها نشر المنشور سابقاً منهجاً وطريقةً .فهي مجلة فصلية متخصّصة بشؤون النجف الأشرف فقط، وقد بدأت بالصدور في العام2006 ، وقد دأب الأستاذ كامل سلمان الجبوري على أن يضمّن في هذه المجلة كلّ شاردة وواردة عن النجف حتى بلغت أعداد هذه المجلة خمسة وعشرين عدداً .ولأنها تتخذ من نشر المنشور سابقاً منهجاً وطريقة، فلا شكّ في أنها ليست مجلة بالمعنى المتعارف عليه، أي المجلة التي تشترط في أبحاثها ألاّ تكون منشورة في مواضع أخرى من قبلُ، فهي من النمط التكراري للتأليف الموسوعي الذي يستند إلى ما هو متوفّر من كتب وأبحاث ومقالات كانت قد وجدت طريقها للنشر سابقاً .وما تفعله المجلة هو إعادة نشرها من جديد في نظام جديد مع بعض الإضافات والتنقيحات .

والخطّة التي تسري بموجبها أعداد المجلة هي إعادة نشر الأعمال المختلفة المنشورة سابقاً في المجلة سواء أكانت تتعلق بموضوعات تاريخ النجف، أو أدبها، أو مجتمعها، أو أيّ قضية من قضايا النجف .كما أنها تحرص على نشر كتب كاملة في حلقات متتالية مثل نشر كتاب الحسين البراقي" **اليتيمة الغروية والتحفة النجفية** "منذ العدد الأول .تتضمّن أعداد مجلة **آفاق نجفية** ملفات محورية تُعَدّ ملفات مهمة لأنها تضطلع بلمّ المواد المتفرقة عن موضوع معين أو شخصية معينة في مكان واحد .على سبيل المثال، تضمّن العددُ الأول، سنة 2006، ملفّاً عن حياة الشاعر محمد رضا الشبيبي وشعره، وسوف تعود المجلة لاستكمال هذا الملف بقسم ثانٍ في العدد 13 سنة 2009 كما يتضمّن العدد6 ، سنة2007، ملفّاً عن الشيخ محمد جواد البلاغي-1282) .(1352لكن هذه الملفات ما هي إلاّ تجميع لمواد كانت قد كُتبت ونُشرت سابقاً .وكذلك الحال عن بقية الملفات عن علماء النجف وشعرائها وشخصياتها.

مشكلات الكتابة التاريخية عن النجف:

تتعلق مشكلات الكتابة التاريخية عن النجف موسوعياً بالهدف الأول والأخير للموسوعات التي كُتبت عنها؛ وهو بناء شخصية النجف مدينةً عظيمة وخالدة .وهذه الموسوعات كان قد جمعها ورتّبها ورعاها كتّاب وجمّاعون من أبناء المدينة نفسها، لم يكن لهم من مطمح غير تخليد ذكرى مدينتهم وإسداء خدمة لها ولباني مجدها الإمام علي بن أبي طالب .وهذا الهدف أفضى إلى أولى المشكلات التي تتعلق بالولع بتجميع المعلومات عنها، فقد عمد ذوو المشاريع الموسوعية إلى إشباع المدينة كتابةً تاريخيةً وتوثيقاً .وطيّ هذا الإشباع يشيع الافتقارُ إلى الخلاصة الفكرية الطالعة من ذلك الركام المعلوماتي، وإلى مشروع إعادة التفكير في تراث المدينة .فمشاريع الكتابة التاريخية الموسوعية هي العتبةُ التي تتطلب طريقاً طويلاً، ما زال غيرَ مطروقٍ، لإعادة التفكير في تاريخ

النجف وتأثيره الفعلي في حركة المدينة .ونمطُ الكتابة التاريخية السائدة نمطٌ محافظ، يُديم السائدَ عبر التقريظ، ولا يلجأ إلى دفعه باتجاه جديد عبر التحليل وتشخيص الشروط المعرفية لازدهار النجف علماً وحياةً وتدهورها كذلك.

وأما المشكلة الرابعة في التأليف الموسوعي عن النجف فتتعلق بتوفّر المبدأ الذي تقوم عليه الكتابة التاريخية، وهو النزعة النقدية .ويبدو أن نزعة تجميع المعلومات في الموسوعات، تلك التي نوّهنا بها سابقاً وميّزت الكتابة التاريخية عن النجف، قد غيّبت أي نزعة نقدية في الكتابة الموسوعية عن المدينة، فالموسوعات المكتوبة عن النجف لم تتبنّ أي نزعة نقدية للمكتوبات والمرويات التاريخية والشهادات السائدة التي تحكي تاريخ المدينة .وهي لم تختبر، أو لم تحاول اختبار، تلك المكتوبات والمرويات والشهادات، ولم تفحص أدلّتها، ولم تتناول موضوعيتها، من هنا امتزج وفي هذه الموسوعات النجف التاريخي بالأسطوري، والواقعي بالخرافي، والعلمي بالانطباعي، والمنهجي بكتابة اليوميات.

ويمكنُ أن نمضيَ في هذا الشوط إلى أبعد مدىً لنفحصَ كيف تتعرّض أكثرُ الموسوعات حداثةً زمنية، وهي موسوعة الحكيم" **المفصّل في تاريخ النجف**"، إلى التاريخ الحديث والمعاصر ، إنها في الواقع تتوقف، في بعض أجزائها، عند حدود الحقبة الملكية في العراق سنة(1958) ، وهذا هو حالُ الجزء التاسع من تلك الموسوعة الذي يتعلق بـ"أعلام المدرسة النجفية في التأريخ الحديث والمعاصر ."وقد يكون العامل السياسيّ حاسماً في تجنّب التركيز على الحاضر وعدم موازاته بالماضي، وسوف نأتي لاحقاً على هذا الجانب الحيويّ في تفسير تفشّي ، والتأليف الموسوعي عن النجف بوصفه آليةَ دفاعٍ عن المدينة المستباحة من الدكتاتورية وعهود القمع الطويلة، ومهملة من طرف التاريخ الإسلامي الرسمي لأنها تمثّل سرديةً مختلفةً أو حتى سردية ضدّ .في الواقع، هناك عشوائية في النظرة إلى الزمن الذي يؤطّر موضوعات الموسوعات، وهناك تقدّم وارتداد، ولا يوجد نقاش عن معنى الماضي والكتابة التاريخية عنه، أي كتابة التاريخ، ويتبع ذلك خفوت العناية بما يسمى" تاريخ الحاضر " " contemporary historyومهما بدا أن هذه الموسوعةَ تحاولُ أن تعوّض شحوب الواقع الراهن بتضمين اليوميات التي كنّا قد تكلّمنا عليها، فإن هذا التعويض لا يتمّ دون التضحية بموضوعية الكتابة التاريخية .لكن هذه الستراتيجية هي تكييف لنموذج سلفه جعفر محبوبة في **ماضي النجف وحاضرها**، إذ يحاول حسن الحكيم تذويب يومياته الخاصة في موسوعته الضخمة بنيّة استئناف كتابة تاريخ النجف عبر اليوميات، بيد أن هذا التكييف عبر التذويب لم تتمثّله منهجية الكتابة التاريخية مصدراً منضبطاً يزوّدنا بالمعلومات الموضوعية .والخطورة هنا هي أن المؤرخ يكفّ عن كونه مؤرّخاً لصالح أن يكون شاهداً على أحداث، وهذا وضع وإن كان مهمّاً، تغيب فيه التسوية التي يُقيمها المؤرخ بين طبيعة منظوره الخاص والمعطيات التاريخية المتوفرة .وإذا غابت هذه التسوية المطلوبة تتشابك المنظورات الشخصية مع المعطيات في كتابة التاريخ ولاشكّ في أن للنجف تراثاً ضخماً ومتنوعاً، ولو تأمّلنا هذا التراث في السياق الأدبي للمدينة لاكتشفنا شيئاً مثيراً.

وإن لهذه الموضوعة الأخيرة صلةً بكتابة تاريخ النجف في الموسوعات، إذ تحدّثنا الموسوعات المخصصة عن مدينة النجف عن "المجالس والنوادي العلمية والأدبية" المنتشرة في النجف، وعن "الندوات العلمية والمعارك الأدبية"، وعن "الجمعيات والمؤسسات العلمية والأدبية والاجتماعية" (الحكيم، 2013ج-14 ج-15ج 16-15-14 2013 , al-hakeem) وهذه المجالس من الكثرة بحيث أنه تكاد تكون كلّ أسرة نجفية

معروفة لها مجلسها المعروف في يوم معروف .زد على ذلك مجالس مراجع الدين أيضاً، وكلّها تتناول في النقاش القضايا السياسية والأدبية والفكرية والدينية، ومنها ما هو ذو طابع اجتماعي أيضاً .إنها حواضن للمعرفة، وهي بمثابة تجمّعات أدبية وعلمية تسمّى" المجالس "أو" النوادي "أو" الدواوين"، منها مثلاً نادي الجواهري، والحبوبي، والطباطبائي، والقزويني، والشرقي، والشبيبي، وكاشف الغطاء، وغيرها .هذه النوادي هي بمعنى ما منتديات للشعر والأدب بعامة، حتى قيل إنها نظير "كُناسة الكوفة ومربد البصرة". لكن هذا المجلس أو النادي لم يكن يأخذ الأدب بجدّية، وأميل إلى أن أسمّيه "حلبة للتباري".

وكان اللاهوت النجفي نخبوياً، ليس على مستوى إنتاجه الفكري، فهذا شأن بدهيّ، بل على مستوى تزعّمه إدارة شؤون الناس، إذ لم يكن اللاهوت في النجف يسعى إلى التماهي مع الطبقات العريضة للمجتمع الذي يُدير شؤونه، لقد ظلّ نخبوياً بامتياز كبير .وكانت الهزّات التي تحدث في بغداد، على مقربة من النجف، لا تؤثر، رغم أدلّة على وصول المؤثرات إليها من أفكار ومجلات) **(النقاش, 1994 ,ص53) (al- nakash, 1994, p (53**وصحف، في زحزحة الوضع الأدبي في النجف زحزحة تجعل منها ذات فاعلية واضحة، ولا تجد لها صدىً فيما يحدث في أروقة المدارس الدينية التي تنفضّ إلى" المجالس الشعرية"؛ لأن" الوعي الجاد "كان يتفتح في الحوزات الدينية ويبذل قصارى جهده هناك، بينما جلّ ما يفعله" الوعي المسترخي "هو الإنصات بلذّة إلى مألوف الأشعار في مجالس يغمرها الهزل والمرح وتزجية الوقت باللهو الشعري .هذا الوضع يجعل من بيروت مثلاً، بوصفها مركزاً ثقافياً ينتج الكتاب والمجلة والصحيفة، أقرب من النجف إلى بغداد .ولو تأملنا تلك اليقظة الكبرى التي حدثت نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات، حين حلّ حدث" الشعر الحرّ"، وفكرنا مليّاً في أصدائه في النجف، لما أسعفنا الوضع كثيراً في إيجاد تأثير أو صدى أو مشاركة، اللهم إلاّ محاولات بسيطة في النقاش الدائر عن" الشعر الحر "وريادته وسوى ذلك، وبالطريقة نفسها، يمكن أن يثار سؤال عن البنية الاجتماعية في هذه المدينة، فهل حقّاً تراوح النجف بين شريحتين اجتماعيتين فقط هما" الملائية "و"المشاهدة"؟ وما دلالة أن النجف في نموّها التاريخي أنجبت شريحتيْن اجتماعيتيْن،" الملائية "و"المشاهدة"، يسميهما علي الوردي بـ"المعمّمين والمسلحين) **(الوردي 1974 , ج 4ص407) .(alwardy , vol.4 , p407) (** ففي إطلالة موجزة لعلي الوردي على المجتمع النجفي، يضعُ التنوّعَ العرقيَّ المذهلَ للمدينة في نطاق المعمّمين فقط، فهؤلاء طلبة العلم القادمون من بعض البلدان العربية وإيران وتركيا والهند وأفغانستان والتبت وغيرها، وهم يشكّلون أطيافاً مجتمعية داخل مجتمع المعمّمين، والآن، ألا يقيم هذا الطرح تحدّياً لواقع المدينة المتغيّر اجتماعياً؟ أليس فيه غمط لهذا الواقع الاجتماعي المتغيّر الذي صهر في بوتقته أعراقاً واحتضنَ ألواناً؟ وما مآلُ النجف مركزاً حضارياً لمّ أعراقاً مختلفة؟ خاصة بعد أن دمّرت حقبة البعث الدكتاتورية التنوّع العرقي الزاخر للمدينة، فهُجّر آلاف من العراقيين إبان عقدي السبعينيات والثمانينيات وتقلّص عدد الطلبة في الحوزات الدينية، وقد أشار علي الوردي، اعتماداً على كتاب **أعيان الشيعة لمحسن الأمين**، إلى أن أعداد مجتمع المعمّمين بلغ اثنى عشر ألفاً، وبحث عبد الهادي الحكيم أعدادَهم في أواخر القرن التاسع عشر ليراوح الرقم بين عشرة آلاف وستة عشر ألفاً.

ولقد امتدّت لحظة التأليف الموسوعي عن النجف، منذ كتاب **ماضي النجف وحاضرها** لجعفر محبوبة، لتسقط في التكرار والنمطية، من جهة، ولم تؤدِّ إلى إنعاش حركة التأليف التحليلي النقدي المستند إلى المعلومات

التي تقدمها الموسوعات، ولعلّ الوضعَ المعرفي الجديد في النجف قد بدأ نوعاً ما بتدارك هذا المزلق مع ظهور أجيال جديدة قد تنجح في تنقيح هذه الرؤية، وتختطّ منهجاً جديداً يقيّض للباحثين استثمار الموسوعات من أجل مشروعات متأنية وعميقة تعيد التفكير في سيرة النجف الفكرية .ينظر المؤرخُ الموسوعي للنجف، وهو من أهلها، إلى مدينته نظرةَ من يريد أن يصونَ تراثَها من التشويه، وتلك مهمّة لا تتأتى بالحفظ والتوثيق فقط .لأن من مستتبعات تلك النظرة إقامةَ النجف أيقونةً جامدة، حين يتمّ التعامل معها على أن لها شخصيةً تدعو إلى صيانتها عبر التاريخ، وفي خضمّ هذا الانهمام بصيانة الشخصية يضيع الفكرُ الذي هو عمادُ شخصية النجف.

إن نظرة إلى المراجع الأساسية التي أرّخت للمدينة تبيّن لنا جملة من تسويغات التآليف الموسوعية التي تتعلق إجمالاً بالوفاء للمدينة .ففي كتاب **ماضي النجف وحاضرها** يصرّح الشيخ جعفر باقر آل محبوبه، في مقدمته للجزء الأول، بأن الوفاء لبلده) يقصد مدينته النجف (وحبّه له يقف دافعاً وراء تأليف موسوعته تلك، ويجد تسويغ ذلك بمأثور نبويّ يقول" حبّ الوطن من الإيمان "و"من إيمان الرجل حبّه لقومه)**(محبوبة , ج 1ص1))** **(mahboba , vol.1 , p 1**كما أنه يحرص على تكرار هذا السبب في مواضع أخرى وأجزاء أخرى من موسوعته، أي أن ما يقوم به هو تأدية قصارى الجهد من أجل بلده الأقدس، أما جعفر الدجيلي، جامع **موسوعة النجف الأشرف** فقد فعل الشيء نفسه في موسوعته حين أدلى باعتراف مؤدّاه أنه لم يأتِ بشيءٍ جديدٍ، وأنه قام بدور الجمّاعة، بل واعتذر عن صياغة تاريخ جديد للنجف بسبب عِظَمِ المشقّة وشحّة الوقت) **(الدجيلي , ج1 ,ص9)(al-dijely , vol.1, p9)** ، وقال إن مشروعه جاء خدمة مقدسة للإمام علي بن أبي طالب .أما موسوعة **المفصّل** للدكتور حسن الحكيم ففيها حرصٌ أيضاً على أن يكون عمله الضخم خدمة للمدينة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكذلك تحقيقاً لأمنية العلاّمة محمد جواد مغنية حين تمنّى أن يقرأ كتاباً عن النجف يتناول سيرتها في ألف عام **(الحكيم ,2013 ,ج 5, ص4) (al-hakeem , 2013 vol.5, p 4)** ولكن، لماذا كانت مشاريع الكتابة التاريخية عن النجف مشاريع موسوعية؟ ولماذا أصرّ بعض المؤرخين على تقديم النجف في مشاريع ضخمة تعتمد على جمع كلّ شاردة وواردة عن النجف؟ ولماذا تعامل المؤرخون مع مدينة النجف بوصفها رمزاً إلى الحدّ الذي أغفلوا فيه حقيقتَها مدينةً واقعية حيّة؟ لقد افترض مثل هذا المقترب الخاص لمدينة ذات طاقة رمزية ضخمة مثل النجف أنها تقع خارج التاريخ، ولذلك يجب تأبيدها عبر موسوعات ضخمة هي في النهاية حشد عظيم من الأخبار والمعلومات التي تخصّ المدينة.

لكن هذا المقترب ينطوي على عجز في التواصل مع المدينة باعتبارها مدينة داخل التاريخ، ومدينة تتمتع بواقع ثرّ يوازي تاريخَها العريق. لقد أحال التأليفُ الموسوعيُّ النجفَ إلى مدينة تاريخية، والباحثون يجهدون في رسم ملامحها من خلال رصد دقيق وتتبّع تفصيليّ لما تحمله المظانُّ التاريخية عنها؛ وبذلك أغفلوا جانبَها الواقعي الحيّ، وقطعوا صلةَ ماضيها بحاضرها .فالنجفُ مدينةٌ نشأت وما زالت هي هي، لم تنطمس لتظهرَ على أنقاضها مدينةٌ جديدة وإن بالاسم نفسه .فقبل ألف عام ونيّف، حين جاءها الشيخ الطوسي وطلبته، كانت النجف مركزاً من نوع ما للشيعة، واستمرت مدّاً وجزراً مركزاً مهمّاً للعالم الشيعي رغم انقطاعات تاريخية لم تثلمْ هيبتَها التاريخية .أما الكوفة التاريخية فهي غيرها الكوفة الحديثة والمعاصرة .لقد اختفت الكوفة التاريخية وحلّت محلّها كوفة جديدة لا تحمل من الكوفة التاريخية غير اسمها .وتلك حقيقة كان نبّه عليها هشام جعيط في كتابه المهمّ

الكوفة :نشأة المدينة العربية الإسلامية (هشام جعيط , 1993، ص342) (Hisham ,1993, p 342)

لكن النظرة للنجف في الموسوعات مدينة تقع خارج التاريخ جعل الكتابة عنها عُرضة للأسطرة، وجعل السرد الذي يتناولها عُرضةً لأن يدخل حدّ الخيال، وكان ذلك كلّه ثمرة من ثمار تصوّر المؤرخين الموسوعيين لمدينتهم.

ومن المؤكد أن دوافعَ مهمةً كانت تؤسس لهذا النمط من الكتابة التاريخية الموسوعية عن مدينة النجف، ولعلّ أهمّها العامل السياسي .إن نموذجيْ التأليف الموسوعي عن النجف، التأليفي والتجميعي، يبيّنان أن المدينة كانت تعبّر عن دفاعها عن نفسها بمثل هذه الموسوعات .لقد تعرّضت المدينةُ إلى محاولات طمسٍ وهجمات على ثقافتها وتاريخها ودورها .إن التحيّز ضد مدينة النجف، سياسياً وطائفياً، أمر يكمن في صلب أيّ مشروع موسوعي للكتابة التاريخية عن النجف .فهذه الموسوعات كانت حصوناً تقف ضدّ أيّ محاولات لتغييب المدينة. ولو ركّزنا على النموذج التجميعيّ خاصة في موسوعة جعفر الدجيلي لوجدنا أنه نموذج عنيد لا يمارسُه إلاّ من يكون وجودُه مهدّداً، وتراثُه نهباً للضياع، ومن اللافت أن هذه الموسوعة انتهت بصدور جزئها الأخير، الثاني والعشرين، في العام2003 ، عام سقوط الدكتاتورية.

وإذا تأمّلنا الظروفَ التي تعيشُها النجف بعد سقوط الدكتاتورية في العام2003 ، فإننا يمكن أن نحددَ جملةً من العوائق التي ما زالت تحولُ دون تأسيس كتابة تاريخية موسوعية عن المدينة .ولعل أولَ هذه العوائق هو انغلاقُ نموذج الكتابة التاريخية الموسوعية عن النجف .فلقد صار تقليداً قويّاً أن ينزعَ التأليفُ الموسوعي عن النجف إلى التراكم الكمّي للمعلومات أكثر من التحليل، وأن تغيبَ عنه الخلاصاتُ الفكرية التي تنطمسُ تحت ركامٍ هائلٍ من النصوص التي تُستجلَبُ من مظانٍّ متنوعة وكثيرة لأغراض التوثيق والتمجيد سواء بسواء .ولكسر هذا التقليد في الكتابة الموسوعية، لابدّ من دُربة جديدة تشيع بين المؤرخين الجدد والأساتذة المتخصصين في حقل التاريخ، ولا بدّ من إعادة التفكير مرة أخرى في معنى المنهجية التي يُكتَب بها تاريخ مدينة النجف .والأمر الثاني هو أن المؤسسات الجامعية لا تعنى بالتأليف الموسوعي، بل هي منشغلة بموضوعات كانت من المسكوت عنه أيام الدكتاتورية، وثبت الأطروحات الجامعية لجامعة الكوفة على سبيل المثال يبيّن ابتعاد المؤسسة الأكاديمية عن موضوع التأليف الموسوعي عن النجف .ولذلك لم تتوفّر بيئة النجف، أو غير بيئة النجف، على مؤرخين تلقوا تدريباً خاصّاً في مثل هذا النمط من التأليف .أما العائق الثالث فهو يتعلّق بطبيعة المؤرخ نفسه .ومن المهم التنويه دائماً بالحاجة إلى وجود مؤرّخ غير نجفيّ، أو بالأحرى مؤرّخ 'لانجفيّ'، ليس لديه نزعات دينية تنطلق في كتابة التاريخ من منطلق خدمة المدينة، بل من منطلق كتابة تاريخ يتخلّص من الانحياز قدر الإمكان.

الخاتمة

لقد باتت النقلةُ مطلوبةً أكثر من أيّ وقت آخر، النقلة من التاريخ الذي به" تجدَّد العبر والزواجر وتتخلّد المناقب والمآثر إلى تاريخ يقطع الصلة بالعبرة والمنقبة ليقيم صلة بمشروع التفكير في الهوية والتحوّل .والكتب الموسوعية وغير الموسوعية المترعة بالمعلومات لمحبوبة والحكيم والدجليلي والخليلي والخاقاني والجبوري والطريحي، وفّرت المادة التاريخية اللازمة لعمل مؤرّخ آخر لا يكون همُه اقتناص الشوارد ولا التنقيب في بطون الكتب عن أخبار النجف، بل البحث عن النجف في هذه الأخبار التي يمكن القول إن مرحلة جمعها تتطلب

مرحلة تحليلها .نحن بحاجة إلى بحث في هوية المدينة وتحوّلها وإمكان تحوّلها من جديد في ظلّ الظروف المتبدّلة وفي ظلّ سُنّة التاريخ التي لا تقاوَم وهو التحوّل.

نحن ما زلنا بانتظار مؤرّخ" لانجفيّ"، وليس فقط مؤرّخاً" غيرَ نجفي"، يرشدنا إلى معرفة جديدة لماضي المدينة وحاضرها ومستقبلها .ثمة أيضاً جرأة مطلوبة تتيحها أوضاع الحرية النسبية المتاحة الآن بعد سقوط الدكتاتورية، هذه الجرأة سوف تتكفل بوضع النجف في التاريخ، وليس خارجه، وبنقدها ونقد الصراع القائم فيها، على تملّكها، والتكلّم باسمها .ثمة، الآن، فرصة تاريخية حقيقية لدراسة النجف مدينة عالمية معاصرة .إن البحث يتطلّب بنقده نموذج الكتابة التاريخية عن مدينة النجف مهمة جديدة تتوخّى نموذجاً جديداً في كتابة التاريخ، وتحدّد الحاجة إلى إعادة توجيه أساسية لنموذج الكتابة التاريخية المهيمن .إذن، ثمة مسار جديد بات مطلوباً ليلمّ تراثَ النجف من أجل نقده، لا تمجيده وتخليده حسب .وهذا ما سوف يضمن تأثيراً أكبر لهذه المدينة في الحياة المعاصرة.

المصادر

- ابن طاووس ، عبد الكيريم إبن طاووس . (1998) . فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي . ط. 3 مركز الغدير للدراسات الاسلامية . بيروت . لبنان.
- الحكيم ، حسن عيسى 1427) . هـ .(المفصل في تاريخ النجف . ط . 1قم المقدسة . ايران ؟
- الحكيم ، عبد الهادي . (2007). حوزة النجف الاشرف : النظام ومشاريع الاصلاح . ط . 1مؤسسة أفاق للدرسات والابحاث . بغداد . العراق
- الخليلي ، جعفر , (1987) . موسوعة العتبات المقدسة . ط . 2مؤسسة الاعلمى للمطبوعات . بيروت . لبنان
- الديجيلي ، جعفر . (1993) . موسوعة النجف الاشرف . ط . 1دار الاضواء . بيروت . لبنان
- الطريحي ، محمد سعيد , (2004) . دولة النجف , اكادمية الكوفة . هولندا,
- الطريحي ، محمد كاظم . (2001) . مدينة العلم والعمران . ط . 1دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . لبنان.
- محبوبة ، جعفر . (1986) . ماضي النجف وحاضرها . ط . 2دار الأضواء .بيروت . لبنان
- الوردي ، علي . (1974) . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . ط . 1مطبعة الشعب . بغداد . العراق.
- فرانو ، هارتوخ . (2010) . ما دور المؤرخ في العالم المعاصر . منشودات تورس . لندن –نيورك .
- آفايبزر . تكر . (2009) . معرفتنا عن الماضي . مطبعة جامعة كيمردج . نيوزك

References

Al-Dajili, Jaafar. (1993). *Encyclopedia of Al-Najaf Al-Ashraf*. 1st Edition. House of lights: Beirut. Lebanon.

Al-Hakeem, Hassan Issa. (1427 A.H). *Detailed in the History of Al-Najaf*. 1st Edition: Holy Qom. Iran.

Al-Hakim, Abdel-Hadi. (2007). *The Holy Najaf Hawza: The System and Reform Projects*. 1st Edition. Horizons Foundation for Studies and Research : Baghdad . Iraq.

Al-Khalili, Jaafar. (1987), *Encyclopedia of Holy Shrines*. 2nd Edition. Al-Alamy Foundation for Publications: Beirut. Lebanon.

Al-Tarihi, Mohammad Kazem. (2001). *The City of Knowledge and Construction*. 1st Edition. Dar Al-Hadi for Printing, Publishing and Distribution: Beirut. Lebanon.

Al-Tarihi, Mohammad Saeed. (2004). *Al-Najaf State*. Kufa Academy: Holland.

Al-Wardy, Ali. (1974). *Social Glimpses of Iraq's Modern History*. 1st Edition. Al-Shaab Press: Baghdad. Iraq.

Ibn-Tawus, Abd al-Karim Ibn-Tawus. (1998). *Al-Ghari's Joy in Locating the Grave of the Commander of the Faithful, Ali*. 3rd Edition. Al Ghadeer Center for Islamic Studies: Beirut. Lebanon

Mahbooba, Jaafar. (1986). *Al-Najaf: Past and Present*. 2nd Edition. House of lights: Beirut. Lebanon.

Hartog, Francois . (2010) . "What is the role of the Historian in an Increasing Presentist World?," in Harlaftis, G., Karapidakis, N., Sbonias, K., Vaiopoulos, V., *The New Ways of History* . Taurus Publishers . London-New York.

Tucker, Aviezer. (2004). *Our Knowledge of the Past: A Philosophy of Historiography*, (: Cambridge University Pres . New York

Historical Writing about Najaf, Reading in Encyclopedic Authorship

Dr. Hassan Nadhem
Minister of Culture, Tourism and Antiquities/ Iraq
Hassan.nadhem@uokufa.edu.iq

Received: 16-01-2021
Accepted: 20-02-2022
Published: 15-09-2022

Abstract

As far as the holy city of Najaf is concerned, a tremendous number of books, studies, and encyclopedias have been written in appreciation of its historical and religious role. This is mainly due to the fact that Najaf is famous, throughout history, as a center of learning and, most importantly, as a burial place of Imam Ali (peace be upon him) .

In this study , four types of encyclopedias will be dealt with each type is divided into two. The first is the "composition", in which the author states all the information written about Najaf in almost all references, examples of this type are : (Najaf – past and present) by Sheikh Jafar Al Mahbooba and (Najaf – a detailed history) by Dr. Hasan Moohsen Al Hakeem The second type is the "collective" which is a mere arrangement of material previously included in other encyclopedias. Examples of this type are (Encyclopedia of Najaf) by Jafar Al-Doojaili and (Najaf Horizons) Review by Kamil Salman Al- Joobori.

Keywords: Criticism of Encyclopedias, Historiography of Cities, Historical Analysis, Authority, Society.